

عظة عن عيد العنصرة منسوبة للبابا أثناسيوس الرسولي*

إبراهيم ساويرس

أمضيتُ في عملي البحثي بجامعة ليدن بالمملكة الهولندية سبع سنوات كاملة، أنجزتُ فيها عددًا من البحوث، تنوعت ما بين بحوث أُعدت للنشر، وبحوث مُكمّلة لكورسات الماجستير والدكتوراة، وبحوث أُلقيت في عدة مؤتمرات دولية وغيرها. بداية من هذا المقال أبدأ في تعريب هذه البحوث لعل القاريء العربي يجد فيها فائدةً ما. ويسعدني ويشرفني أن أهدي هذه السلسلة من البحوث إلى ذكرى قديستي الأول، وداعمتي الكبرى، أمي، نجاح سمعان ساويرس (١٩٤٠-٢٠١٢)، التي لولاها ما استطعتُ السَّفَرُ أو التعلُّم، فكل ما بي من خير هو صنُّع يديها.

البابا أثناسيوس الرسولي (٢٩٦/٢٩٨ - ٢ مايو ٣٧٣م)، رئيس أساقفة الكنيسة المصرية العشرون، دامت حيرته ٤٥ سنة (٨ يونيو ٣٢٨ - ٢ مايو ٣٧٣م)، قضى منها في النفي حوالي ١٧ سنة، معروف بأنه أحد أهم آباء الكنيسة الجامعة، وكتب لاهوتي غزير الإنتاج، والرجل الذي صارع الأريوسية وغلب. بدأت شهرته مع مجمع نيقية (مايو - يوليو ٣٢٥م)، حينما كان شماسًا ومساعدًا لسلفه رئيس الأساقفة إسكندر. بعد ذلك ارتقى كرسي الإسكندرية، وحارب ضد الكثير من هرطقات زمانه، واضطر للدخول في صراعات مع بعض القيادات الحاكمة آنذاك. دَعَمَ أثناسيوسُ الرهينةَ في عصره، وكانت له علاقات طيبة بالرهينتين: الأنطونية والباخومية^١.

* أشكر صديقي العزيز الأستاذ مايكل حلي (معهد الدراسات القبطية) على تفضله بإبداء ملاحظاته على نسختي الأولية من نشرة هذا المخطوط.

^١ أهم قوائم المراجع التي تناولت حياة أثناسيوس وكتاباتة:

يُصنّف أثناسيوس اليوم ضمن مجموعة قليلة من آباء الكنيسة لا يختلف عليهم أحدٌ في كل الكنائس في الشرق والغرب. لأثناسيوس الكثير من الكتابات المهمة التي تُعدّ علامات مضيئة في تاريخ المسيحية كله. بعد نياحته نُسبت إليه عشرات النصوص التي لم يكتبها، لأن اسمه كان يعني للقراء جودة الكتابة، ورُقّي الأسلوب، إلى جانب الفكر اللاهوتي السليم. من هنا جاء هذا البحث ليخوض في هذه النوعية من النصوص - أي النصوص المنحولة على اسم أثناسيوس الكبير - في نسخها القبطية، وليقدّم دراسة مُوسَّعة عن نص بعينه، ولا يغفل المقدمات اللازمة لتقديم الموضوع للقارئ العربي.

المخطوط

المجلد (Codex) رقم ٥٩٥ بمكتبة ومتحف الثري الأمريكي الشهير بيربونت مورجان (Pierpont Morgan) بنيويورك عبارة عن تجميع لعشرة مخطوطات مختلفة، يربط بينها من حيث المحتوى أن جميعها نصوصٌ تتعلق بفترة عيد القيامة^١. تُنسب النصوص العشرة لخمسة مؤلّفين مختلفين. أوراق المجلد مصنوعة من جلد الماعز، وتبلغ أطوال ورقة المجلد ٣٤.٢ × ٢٧.٧ سم. المجلد محفوظ في حالة جيدة جدًّا، باستثناء بعض الأجزاء البسيطة التالفة، والتي أُعيد إصلاحها لاحقًا. المجلد مكتوب باللهجة الصعيدية. نُسخ

Ch. Butterweck, *Athanasius von Alexandrien: Bibliographie*. Opladen 1995.

بعد ذلك قام يوهان ليمانس بتحديث هذه القائمة في مقاله الرائع:

J. Leemans, "Thirteen Years of Athanasius Research (1985-1998). A Survey Bibliography," *Sacris Erudiri* 39 (2000), 105-217.

صدر حديثًا عن حياة وأعمال أثناسيوس ععلان يأخذان في الاعتبار النصوص المنسوبة له في القبطية، راجع:

P. Gemeinhardt, *Athanasius Handbuch*. Tübingen 2011; D. Gwynn, *Athanasius of Alexandria: Bishop, Theologian, Ascetic, Father*. Oxford 2012.

^١ عن الوصف التفصيلي للمجلد ومحتوياته راجع:

L. Depuydt, *Catalogue of Coptic Manuscripts in the Pierpont Morgan Library*. Louvain 1993, 345-350.

المخطوط يوم الأربعاء الموافق ٨ برمودة ٥٧١ش، الموافق ٣ أبريل ٨٥٥م (لوحة ١ - ٢).^٣ اكتُشف المجلد ضمن خرائب دير الملاك بمنطقة الحامولي، بالفيوم عام ١٩١٠م، ومنها سافر إلى باريس، وبعدها اشتراه بيربونت مورجان، ليستقر في مكتبته في نيويورك، حيث لم يغادرها أبداً إلا إلى الفاتيكان لإجراء عمليات الترميم الضرورية وإعادة التجليد.^٤ ومن وقتها لم يُتَح المخطوط لأحدٍ إلا من خلال نسخة مُصَوَّرة أعدها إنري إفرنا (Henry Hyvernat) في بدايات القرن العشرين،^٥ وحتى هذه النشرة كانت محدودة العدد جداً، تجاوزت نُسخُها عددَ أصابع اليدين بقليل، لدرجة أن بعض مكاتب أوروبا المهمة تتباهى بامتلاكها. مؤخرًا أتاح الموقع الرسمي لمكتبة بيربونت مورجان لزوَّاره عددًا ضئيلاً من صفحات هذه المخطوطات، لا تغني ولا تسمن من جوع، وتركز بالأكثر على زينة المخطوطات وليس محتوياتها من النصوص.^٦

تقع العظة محل الدراسة في المرتبة رقم تسعة في ترتيب المجلد، تسبقها ثمانية عظات هي:

١- العظة الثانية عن آلام المسيح، منسوبة لكيرلس الأورشليمي.^٧

٢- عظة عن آلام المسيح وقيامته، منسوبة لأفوديوس الروماني.^٨

^٣ يضم المجلد كولوفون على صفحتي ١٤٨ و- ١٤٩. دَوَّن الكولوفونُ أولاً بالقطبية أن كلاً من الأب قزما والشماس ثوير أخيه قد تبرعا بتكلفة المجلد من أجل اسم الأب إبيما، وهو راهب من دير الملاك ميخائيل بالحامولي، كما دون عليه باليونانية تاريخ النسخ، وبالكثافة المعاة أنه موهوب من أجل الشماس كبرلو والأب كوري. راجع:

A. van Lantschoot, *Recueil des colophons des manuscrits chretiens d'Egypte*. Louvain 1929, Nr. 8a-d.

^٤ عن قصة اكتشاف هذه المخطوطات وكيف خرجت من مصر حتى استقرت في نيويورك، راجع:

Depuydt, *Catalogue*, XLV-LIII.

^٥ H. Hyvernat, *Bibliothecae Pierpont Morgan codices coptici photographice expressi*, 57 vols. Rome 1922.

^٦ <http://www.themorgan.org/search/site/Coptic>.

^٧ Depuydt, *Catalogue*, 346.

^٨ P. Chapman, "Evodius of Rome. Homily on the Passion and the Resurrection," in: L.

- ٣- عظة عن القيامة والآباء الرسل، منسوبة ليوحنا فم الذهب^٩.
- ٤- العظة الثالثة عن آلام المسيح، منسوبة لكيرلس الأورشليمي^{١٠}.
- ٥- العظة الأولى عن آلام المسيح، منسوبة لكيرلس الأورشليمي^{١١}.
- ٦- العظة الرابعة عن آلام المسيح، منسوبة لكيرلس الأورشليمي^{١٢}.
- ٧- عظة عن آلام المسيح ومحاكمته، منسوبة لأثناسيوس الرسولي^{١٣}.
- ٨- عظة عن إقامة لعازر، منسوبة لأثناسيوس الرسولي^{١٤}.

وتليها في المجلد عظة أخيرة هي عظة عن الصليب واللص الطيب، وهي منسوبة للبابا ثيوفيلس الإسكندري^{١٥}.

العظة محل الدراسة لم تُنشر، ولم تُترجم أبدًا من قبل^{١٦}، وهي طويلة نسبيًا، حيث تحتل الصفحات ١١٨ ظ حتى ١٤٠ ظ من المجلد^{١٧}. وقد أشارت إليها

Depuydt (ed.), *Homiletica from the Pierpont Morgan Library* (CSCO 524–525, *Scriptores coptici* 43–44). Louvain 1991, 79–106.

⁹ Z. Pleše, “John Chrysostom. Homily on the Resurrection and the Apostles,” in: L. Depuydt (ed.), *Homiletica from the Pierpont Morgan Library* (CSCO 524–525, *Scriptores coptici* 43–44). Louvain 1991, 56–76.

¹⁰ A. Campagnano, *Omeliie copte sulla Passione, sulla Croce e sulla Vergine* (Testi e documenti per lo studio dell’antichità, Serie copta 65). Milano 1980, 24–52.

¹¹ Depuydt, *Catalogue*, 347.

¹² Campagnano, *Omeliie copte*, 56–72.

¹³ J. B. Bernardin, “A Coptic Sermon Attributed to St. Athanasius.” *Journal of Theological Studies* 38 (1937), 113–129.

¹⁴ J. B. Bernardin, “The Resurrection of Lazarus (Homily Attributed to St. Athanasius).” *American Journal of Semitic Languages* 52 (1940), 262–292.

¹⁵ Depuydt, *Catalogue*, 348.

¹⁶ هذه العظة - بالإضافة إلى ثلاث عظات أخرى منسوبة للبابا أثناسيوس الرسولي من نفس مجموعة الحامولي - ستُنشر بالكامل مع ترجمة إنجليزية ودراسة موسّعة ضمن رسالة دكتوراة الباحث التي ستُنشر لاحقًا هذا العام:

I. Saweros, *Another Athanasius: Four Sahidic Homilies Attributed to Athanasius of Alexandria* (Ph.D. Dissertation). Leiden University (forthcoming).

¹⁷ سنشير في متن البحث إلى وجه (recto) وظهر (verso) الصفحات بالحرفين: “و” للوجه و”ظ” للظهر اختصارًا.

سلسلة كتابات الآباء اليونانية CPG وأعطتها رقم ٨٢١٩٢، وكذلك سلسلة كتابات الآباء الأقباط CPC وأعطتها رقم ٩٥٢، كما أشار إليها الأب أثناسيوس المقاري في كتابه "فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية: الكتابات اليونانية"^{١٨}، وثلاثتهم لم يذكر عنها ما هو أكثر من العنوان.

برغم طول العظة الواضح يبدو أن كاتبًا واحدًا قد قام بنسخها. وبرغم حُسن صُنعة الناسخ ومهارته التي لا تغفلها العين، فقد بدأ في ارتكاب بعض الأخطاء أثناء النَّسخ قُرب نهاية العظة. قبل عنوان العظة استخدم الناسخ زخرفة، عبارة عن مستطيل به ما يشبه الخطوط المتعرجة المتداخلة أو الأبحال المضفرة. زُينت الصفحة الأولى من العظة (١١٨ظ) في هامشها الأيسر برسم مبسط لطائر (لوحة ٣). وقد كُتب العنوان فقط بطريقة الخط المائل ناحية اليمين، والتي تعرف باسم "خط الكولوفون" Colophon-script.

العنوان

يتخذ المجلد عنوانًا شاملاً لكل محتوياته، هو: ΤΧΟΜΙ <N>ΤΑΝΑΚΤΑCIC أي: "كتاب القيامة المقدسة"، وقد ورد هذا العنوان ضمن الكولوفون بصفحة ١٤٨ظ، والملاحظ أنه ليست من عادة نُسَّاح دير الملاك بالحامولي بالفيوم أن يعطوا عنوانًا للمجلد ككل، بل يكتفون بعنوان منفصل لكل عمل داخل المجلد. وَرَدَ عنوان العظة محل الدراسة بصفحة ١١٨ظ من المخطوط (لوحة ٣)، وهو:

ΟΥΚΑΘΗΓΗΣΙC ΝΤΕ ΑΠΑ ΑΘΑΝΑΘΙΟC ΠΑΡΧΙΕΠΙCΚΟΠΟC
ΝΡΑΚΟΤΕ ΕΑΦΤΑΥΟC ΕΤΒΕ ΠΩΑ ΝΤΠΕΝΤΕΚΟCΤΗ
ΕΤΟΥΑΑΒ ΕΡΕ ΟΥΜΗΝΩΕ ΝΕΠΙCΚΟΠΟC ΖΜΟΟC ΖΔΖΤΗΚ

¹⁸ M. Geerard, *Clavis Patrum Graecorum*. 6. vols. Turnhout 1983–1998, 2:38.

^{١٩} هذه السلسلة لم تنشر بعد ورقياً، لكنها متاحة على الموقع: <http://cmcl.it>
^{٢٠} الأب أثناسيوس المقاري، فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية: الكتابات اليونانية. القاهرة ٢٠٠٣، ٢٦٤-٢٦٥.

ΝΖΟΝ ΕΤΕΚΛΗΣΙΑ. ΕΤΒΕ ΠΤΩΩ ΝΤΗΝΤΡΗΜΑΘ ΜΗ
ΤΜΝΤΖΗΚΕ ΔΕΚΑΣ ΕΡΕ ΠΟΥΑ ΠΟΥΑ ΝΑ† ΕΟΥΥ ΜΠΝΟΥΤΕ
ΖΝ ΤΟΙΚΟΝΟΜΙΑ ΝΤΑ ΠΧΟΕΙΣ ΤΟΩΣ ΝΑΦ ΖΝ ΟΥΕΙΡΗΝΗ
ΝΤΕ ΠΝΟΥΤΕ ΖΑΜΗΝ.²¹

عظة للأب أثناسيوس، رئيس أساقفة الإسكندرية، ألقاها عن عيد
العنصرة المقدس عندما كان عدد كبير من الأساقفة جالسين أمامه في
الكنيسة، وكذلك عن الغنى والفقر، حتى يُمجّد كل أحد الله بحسب
التدبير الذي وهبه السيد له. في سلام الله. آمين.

تُنسب العظة لأثناسيوس الرسولي، ولا يترك الناسخُ فرصة للشك إن كان
هو أثناسيوس الكبير أم غيره، فيلقبه مباشرة برئيس أساقفة الإسكندرية، ثم
ينتقل الناسخ لموضوع العظة، وهو في الحقيقة موضوع مزدوج: الأول عيد
العنصرة، والذي من المفترض أن العظة قد أُعدت لثُلثي فيه. والثاني هو الغنى
والفقر. كما أوضح الكاتبُ أن العظة أُلقيت في الكنيسة في حضور جمع كبير
من الأساقفة. والراجح أن الكنيسة المقصودة هنا هي الكنيسة الرئيسية
بالإسكندرية. أما ذِكره لإنصات الأساقفة لهذه العظة فهو لجذب الأنظار،
وشد انتباه الجمهور. الحقيقة أنه لا يجب التعويل كثيراً على محتويات العنوان،
لأنه غالباً ما كان يجري تعديله مرات ومرات، وأحياناً يكون مضافاً بالكلية
لمتن العظة في عصور لاحقة^{٢١}.

^{٢١} نظراً لأن نظام وضع الشُّرط الأفقية Superlineation لا يتبع قاعدة واضحة في المخطوط، فقد فضّل الباحث في نشرته
حذفها بالكامل.

^{٢٢} الدراسة الأكاديمية الوحيدة التي تناولت عناوين العظات القبطية قامت بها باولا بوتسي، وقد قسمت العناوين إلى عدة
فئات بحسب الطول، وبحسب المعلومات المتاحة فيها، وقد نشرتها في كتاب بالإيطالية

P. Buzi, *Titoli e autori nella tradizione copta* (Studio storico e tipologico). Pisa 2005.

كما نشرت مُلخّصاً للكتاب بالإنجليزية في:

P. Buzi, "Titles in the Coptic Manuscript Tradition: Complex Structure Titles and Extended
Complex Structure Titles," in: M. Immerzeel and J. van der Vliet (eds.), *Coptic Studies on
the Threshold of a New Millennium: Proceedings of the Seventh International Congress of
Coptic Studies, Leiden 27 Aug.-2 Sept, 2000*. Louvain 2004, 309–316.

محتويات العظة

أمكن للباحث من خلال دراسة العظة وترجمتها أن يُقسّم محتويات العظة إلى أربعة أقسام رئيسية فيما تلا العنوان وسَبَق الخاتمة. جاء هذا التقسيم بحسب الأفكار التي يناقشها الواعظ، ويُلاحظ أن الترابط فيما بين الموضوعات الأربعة غير واضح، ولكن الترابط الداخلي في كل عنصر من عناصر العظة قوي ومنطقي. فالواعظ ينتقل بسلاسة بين فكرة وأخرى في موضوعه الواحد، مما جعل كلّ موضوع في العظة جدًّا في حد ذاته، بل ويصلح استخدامه كعظة منفردة.

والموضوعات الرئيسية في العظة هي:

١- تحذيرات ضد الخطايا

تبدأ العظة بمقدمة يحاول الكاتب فيها أن يلفت أنظار السامعين ويشد انتباههم، فيوجه حديثه إلى الشمس والأرض، طالبًا منهما أن ينصتا لكلامه، لأنّ فمه مملوء بكلام الله ومدحه؛ ويطلب من السامعين ألا يكونوا مثل شعب إسرائيل قديمًا صلاب الرقاب^{٣٢}، بل رفاق القلب، حتى تأتي كلماته بمفعولها داخلهم (١١٨ظ-١٢١ظ). ثم ينتقل الكاتب إلى تمهيد مُهم ومدقق عن قِصر عمر الإنسان، وأنه غريب على الأرض، وأنه يجب أن يبتعد عن حُب القنية. ينتقل الواعظ بعد ذلك إلى التحذير من الزنا، وهي الخطية التي كثيرًا ما يردّ التحذير منها في النصوص المنسوبة لأنثاسيوس الكبير بشكل ملحوظ، وخاصة المنسوخة في دير الملاك بالحامولي بالفيوم^{٣٤}. ربما كان الأمر مرده أن

^{٣٢} خر ٣٢: ٩.

^{٣٤} على سبيل المثال النص الشهير الذي يتنبأ فيه أنثاسيوس بدخول العرب مصر كنتيجة لخطية الشعب ورجال الكهنوت وسقوطهم في الزنا، وهذا النص قد نُشر ثلاث مرات في:

F. X. Martinez, *Eastern Christian Apocalyptic in the Early Muslim Period: Pseudo-Methodius and Pseudo-Athanasius*, Ph.D. Dissertation. The Catholic University of America

هذه النصوص قد صيغت أصلاً باللغة اليونانية، وُكُتبت أصلاً في الإسكندرية حيث اختلط المسيحيون بالوثنيين وغيرهم من الأمم التي لا يؤاخذ بعضها على العلاقات الجسدية المتعددة، وبناءً عليه فقد توجب التحذير بشدة من الزنا. يُلاحظ في هذا الجزء من العظة استخدام أسلوب الوعظ المباشر: الأوامر والنواهي، مع تدعيم كل أمر أو نهي باقتباس من الكتاب المقدس.

في هذا الجزء من العظة أفرط الكاتب في استخدام أسلوب الأسئلة الإنشائية المباشرة، وهو أسلوب غير نادر في الوعظ القبطي، ومعه لا يتوقع إجابة مباشرة، بل هو يمثّل في حد ذاته عبارات وعظية واضحة، أُخفيت في أسلوب أدبي راقٍ جَدَّابٍ لانتباه السامعين²⁵. فعلى سبيل المثال، يقول واعظنا:

εΤΒΕ ΟΥ ΒΕ ΚΠΟΡΝΕΥΕ <ε>ΟΥΝΤΑΚ ΣΖΙΜΕ ΜΜΑΥ; ΔΧΙC
 ΝΑΙ ΧΕ ΟΥ ΠΕ ΠΖΗΥ ΕΤΕΚΝΑΖΕ ΕΡΟQ ΕΤΡΕΚΤΑΚΕ ΟΥCΖΙΜΕ
 ΝΤΩΚ ΔΝ ΤΕ; ΜΗ ΝΓΡ ΖΟΤΕ ΔΝ ΧΕ ΝΝΕΥΤΑΖΟΚ ΖΙΤΝ
 ΝΡΩΜΕ; ΕΙΕ ΝΓΑΙCΘΑΝΕ ΔΝ ΕΠΕΝΤΑΥΧΟΟQ ΕΤΒΗΗΤQ ΧΕ
 ΝΝΕQΩΒQ ΝΝΕQΧΙ ΡΙΚΡΙΚΕ ΝΒΙ ΠΕΤΡΟΕΙC ΕΠ(ΙCΡΑ)ΗΛ;
 QΘΕΩΡΕΙ ΓΑΡ ΜΜΟΚ ΖΗ ΜΑ ΝΙΜ. ΝΓCΟΟΥΝ ΔΝ ΧΕ QΝΑΧΙ
 ΖΔΠ ΝΜΜΑΚ ΝΘΕ ΝΝΙΟΥΔΔΙ ΝΤΑQΧΟΟC ΝΔΥ ΧΕ ΔΥΚΑΔΑΤ
 ΝCΩΟΥ ΤΗΡΟΥ, ΠΕΧΕ ΠΝΟΥΤΕ, ΔΥΟΥΩΖ ΖΝ ΝΗΙ ΜΠΟΡΝΗ,

1985; B. Witte, *Die Sünden der Priester und Mönche. Koptische Eschatologie des 8. Jahrhunderts nach Kodex M 602 pp. 104–154 (ps. Athanasius) der Pierpont Morgan Library. Teil 1: Textausgabe.* (Arbeiten zum spätantiken und koptischen Ägypten 12). Altenberge 2002; D. Groddek et al., *Ein wildes Volk ist es. . . Predigt (Ps.-Athanasius) über Lev 21,9, Ex 19, 22, den Erzengel Michael und das Weltende unter arabischer Herrschaft.* Altenberge 2004.

وقد لاحظ الباحث أن عبارة "أبناء هذا الجيل يسقطون في الزنا وهم بعد في سن العاشرة" تتكرر في العظات المنسوبة لأنثاسيوس الرسولي بنصها ذاته بصورة ملفتة للنظر، ولعل الكاتب يعبر بها عن أن السقوط في الزنا هو أمر تال لوصول الطفل لسن البلوغ، وهذا - لا شك - صيغة مبالغة. للمزيد يمكن مراجعة:

Saweros, *Another Athanasius* (Forthcoming).

²⁵ C. H. Reintges, *Coptic Egyptian (Sahidic Dialect): A Learner's Grammar.* Köln 2004, 151.

αΥΦΩΠΕ ΝΘΕ ΝΝΙΖΤΟ ΝΛΑΒΣΡΙΜΕ, ΕΡΕ ΠΟΥΑ ΠΟΥΑ ΖΜΕΜ
ΕΧΝ ΤΕΣΡΙΜΕ ΜΠΕΤΡΙΤΟΥΩΦ; (f. 120).

لماذا إذن تزني بالرغم من أن لك زوجة؟ قل لي: ماذا تجني من تحطيم امرأة ليست لك؟ أولست خائفاً من أن يقبض عليك الرجال؟ ألا تعرف الذي قيل عنه: "هو ذا لا ينعمس ولا ينام حارس إسرائيل"^{٤٦} لأنه يلاحظك في كل مكان. ألا تدري أنه سيحاسبك مثل اليهود؟ الذين قال عنهم: "لقد تركوني جميعاً، قال الرب، سكنوا في بيوت الزواني، صاروا مثل حصن شهوانية، كل واحد يسهل على زوجة صاحبه."^{٤٧}

٢- الأسرة المسيحية

يحتل الجزء الثاني من العظة، والمتعلق بالشئون الأسرية المسيحية، المساحة الأكبر من العظة (١٢١ظ - ١٢٧ظ). يبدأ الكاتب بالحديث عن دور الرجل في الأسرة، وأنه رأس المرأة، وأن مسؤوليته تتسع لدرجة تجعل دور المرأة في الأسرة هامشياً جداً أو غير موجود. تربية الأطفال وتعليمهم الإيمان - بحسب المؤلف - هي مسؤولية الرجل، ومعاملة الخدم بصورة حسنة هي أيضاً مسؤوليته. بعد الشرح المسهب لدور الرجل في الأسرة، ينتقل الواعظ إلى المرأة، والتي يحذرنا تحذيراً قوياً من أن تتشبه بالمرأة اليهودية. ينفق الكاتب الكثير من الصفحات في وصف المرأة اليهودية، وطريقة تصفيف شعرها، وأنواع الخلي التي تضعها على رقبتها وصدرها، وفي أصابعها، وحتى ساقها، ثم يطلب من المرأة المسيحية أن تفعل العكس، أي لا تتزين مطلقاً. تتصاعد حدة كلمات الكاتب حتى يصل إلى قوله أن زينة المرأة هي دعوى للرجال لمعاشرتها، وأن المتزينة هي بالضرورة زانية، وأن التزين يمتنع على النسوة المسيحيات بالكلية.

^{٤٦} مز ١٢٠: ٤ (السبعينية).

^{٤٧} لوقا ٧: ٥-٨.

يحاول الكاتب هنا أن يضفي على كلماته المبالغ فيها صفة القدسية، فيقول في هذا الجزء من العظة إن كلماته منقولة من الكتاب المقدس:

ΠΑΝΤΩΣ ΝΤΕ ΟΥΑ ΧΟΟΣ ΧΕ ΤΑΧΑ ΕΥΚΟΣΜΕΙ ΜΜΟΥΥ
 ΝΝΕΥΖΑΙ. ΔΝΟΚ Ν†ΧΩ ΜΜΟC ΔΝ ΕΤΑΙ ΝΜΙΝΕ ΧΕ
 ΕΛΕΥΘΕΡΑ ΕΡΕ ΠΕΠΡΟΦΗΤΗΣ ΕΙΕΖΕΚΙΗΛ ΜΟΥΤΕ ΕΡΟC ΧΕ
 ΠΟΡΝΗ. ΠΕΧΑϞ ΓΑΡ Ν†ΖΕ ΧΕ ΔΡΚΟCΜΕΙ ΜΜΟ
 ΝΝΕΧΑΛΔΑΙΟC, ΔΡ† ΝΟΥCΤΗΜ ΕΝΟΥΒΑΛ ΑΥΩ ΖΜ ΨΕΛΛΙΟΝ
 ΕΝΟΥCΙΧ ΜΝ ΖΕΝCΑΧΕ ΕΝΟΥΜΑΑΧΕ ΑΥΩ ΟΥΚΛΟΜ
 ΝΩΟΥΩΟΥ ΖΙΧΝ ΤΟΥΑΠΕ. ΔΡΚΟCΜΕΙ ΜΜΟ ΜΝ ΠΝΟΥΒ ΜΝ
 ΠΖΑΤ, ΜΝ ΕΡΟ ΔΝ ΝΝΟΕΙΚ ΖΝ ΝΑΙ; ΑΥΩ ΝΟΥΖΒΗΥΕ ΜΝ
 ΝΝΑΟΥCΖΜΕ ΜΠΟΡΝΗ ΔΝ ΝΕ (f. 126r).

وبلاشك سيقول أحدهم: "ربما يَكْرَهَنَّ من أجل أزواجهن فحسب." أنا،
 فيما يخصني، لا أقول عن هذه المرأة زوجة. إنه النبي حزقيال من دعاها
 زانية، فقد قال هكذا: "أنتِ تزينين نفسك من أجل الكلدانيين. لقد
 وضعت الكحل على عينيك، والأساور في يديك، والحلقان في أذنيك، وتاج
 الفخار على رأسك. أولستِ زانية بهذه الطريقة؟ أوليست أفعالك أفعال
 الزانيات إذن؟"^{٢٨}

يُلاحظ في هذا الجزء من العظة أن الكاتب متأثر ببعض كتابات آباء
 الكنيسة في القرون الأولى، ففي قضية المرأة وزينتها يبدو أن الكاتب قد تأثر
 بكتابات القديس إكليمنديس الإسكندري (Clement of Alexandria) (١٥٠-٢١٥).
 ففي الفصل الثاني عشر من الكتاب الثاني للعمل الشهير
 لإكليمنديس "المرئي" نجد نفس عبارات الكاتب السابقة تقريباً. يقول
 إكليمنديس: "ما الزينة إلا دلالة الزنا"^{٢٩}. نفس الموضوع قد نوقش كذلك
 وبنفس الطريقة في كتاب "ملابس المرأة" للعلامة ترتليان (Tertullian)

^{٢٨} راجع إر ١٦: ١١-١٣، ٣٥، ٤٣، ٤٠.

^{٢٩} S. P. Wood, *Clement of Alexandria: Christ the Educator*. New York 1954, 194-195.

(١٥٥-٢٤٠)^{٣٠}. لكن ترتليان قد تقدم على معاصره إكليمندس عدة خطوات، فعندما كان يوجّه حديثه للنسوة المُعمَّدات حديثًا، قدّم لهن حديثًا مفصلاً عن الزيِّ، والحلي، وأغطية الرأس، تمامًا كما فعل كاتب عظة العنصرة المنسوبة لأناسيوس الرسولي.

حذّر ترتليان سامعاته من استخدام الجواهر والحلي الذهبية وأي شيء مصنوع من الحجارة الكريمة، خاصة عند وضع النسوة لهذه الحلي على الرؤوس. وقد بالغ ترتليان في تحذيراته، تمامًا كما فعل كاتبنا الحالي، حتى قال للنسوة إن الحجارة الكريمة هي من صنع الملائكة الساقطين (الشياطين)^{٣١}. كان ترتليان متحمسًا جدًّا ضد زينة المرأة، فقد ناقش الأمرة مرات أخرى في عمل آخر له عن العذارى^{٣٢}. بحسب كواستن (Quasten) فإن ترتليان اعتقد في أهمية هذا الموضوع جدًّا حتى إنه كتب فيه أكثر من مرة باللغتين اليونانية واللاتينية^{٣٣}. مما سبق يتضح أن مؤلف العظة قد تأثر بكتابات إكليمندس وترتليان، هذه الكتابات التي ظهرت وانتشرت في الإسكندرية، وهو ما يربط الإسكندرية بهذه العظة كمكان للتأليف، وبالْيونانية كلغة للتأليف.

هناك أدلة عدة في ثنايا العظة تعكس تمكُّن الكاتب من اليونانية، فقد استخدم في حديثه عشرات الألفاظ عن زينة المرأة، وفي وصف حلي المرأة، كلها مأخوذة من اليونانية، وبعضها كلمات نادرة. كما يظهر جليًّا تمكُّن الكاتب ومعرفته العميقة بالكتاب المقدس، بغض النظر عن توظيفه للاقتباسات فيما يخالف سياقها الأصلي بالكتاب المقدس.

³⁰ R. Arbesmann, *Tertullian: Disciplinary, Moral and Ascetical Works*. New York 1959, 110-149.

³¹ Arbesmann, *Tertullian*, 118-120.

³² ANF, vol. 4, 27-37.

³³ J. Quasten, *Patrology*, vol. 2: *The Ante Nicene Literature after Irenaeus*. Westminster 1986, 306.

٣- الغنى والفقر

يحتل هذا الجزء من العظة الصفحات (١٢٧ظ - ١٣٧و). الرسالة المطلوب توصيلها منه هو إمكانية دخول الملكوت لأي أحد، أيًا كانت ثروته، سواء كان فقيرًا أو غنيًا، على أن يكون المَعُول هو كيف يستخدم ما له. وهي رسالة بسيطة ومباشرة كان يمكن أن تُقدّم في مساحة أقل من الصفحات العشر التي استهلكتهم في إطناب واضح من الكاتب. اقتبس الكاتب قصتين من الكتاب المقدس ليثبت بهما وجهة نظره، هما: قصة الغني ولعازز، وقصة إبراهيم كمثال للغني الطيب الناجح. وقد كانت تعليقاته على القصتين مطولة للغاية. دخل الكاتب في تفاصيل كثيرة - كان يمكن تجنبها - عن علاقة مالك الأراضي بعمّاله، وعن تقسيم الثروات بعد الموت، وعن نسبة ما من الدخل يجب أن يقدمها الأغنياء للكنيسة كنوع من رد الجميل للرب الذي منحهم كل شيء، ومن أجل أن توزعها الكنيسة على الفقراء من أجل سلام المجتمع. الراجح أن الكاتب أراد هنا أن يمسّ نقاط بعينها في حياته اليومية، ويرمي إلى وقائع بعينها من مجتمعه، أبعد كثيرًا من تعليق روجي قصير عن الغنى والفقر.

بعد ذلك انتقل الواعظ إلى تعاليم مباشرة يحدّث فيها الأغنياء على مساعدة الفقراء، ثم يوجه الواعظ تعاليم مقتضبة للأساقفة الحاضرين معه في الكنيسة، ويحثهم على النشاط في الخدمة، وعدم التكاثر في الرعاية. فجأة توجه الكاتب في هذا الجزء من العظة إلى جمهوره بعبارات ضد الهراطقة، مما قطع تسلسل الأفكار في العظة، ثم عاد لاستكمال حديثه الشائق عن الغنى والفقر. جدير بالذكر أن توجيه الحديث من الواعظ إلى نوعية معينة من السامعين هو أسلوب شائع في الأدب القبطي، حيث ينوع كاتبنا مخاطبه من الغني إلى الفقير، ومن الرجل إلى المرأة، كذلك يوجّه حديثه إلى الأساقفة

الحاضرين معه، ثم يعاود الكثرة ثانية لاحقًا. يبدو أن الغرض من ذلك النوع من تغيير المخاطب هو جذب الانتباه، والتعليق على موضوعات عدة في عظة واحدة، وتوصيل رسائل روحية متعددة في الوقت نفسه.

وقد اختتم المؤلف هذا الجزء بعبارات قوية عن الفرق بين موت الغني وموت الفقير، جاء فيها:

ΠΜΟΥ ΓΑΡ ΗΠΡΗΚΕ ΤΑΙΝΥ ΑΥΩ ΦΜΕΖ ΝΚΑΤΑΚΤΑΚΙΣ
ΕΖΟΥΕ ΠΑ ΝΡΜΜΑΟ. ΕΡΩΔΑΝ ΠΡΜΜΑΟ <ΜΟΥ> ΩΡΑΡΕ ΖΑΖ
ΚΙΝΔΥΝΕΥΕ. ΖΟΙΝΕ ΔΕ ΑΦΧΙΤΟΥ ΝΘΟΝΟ· ΩΑΥΡΑΩΕ
ΗΜΟΦ, ΖΕΝΚΟΟΥΕ ΔΕ ΕΥΜΟΤΗ ΗΜΟΦ, ΩΑΥΩΚΗ ΔΕ
ΑΩΩΧΝ ΝΤΟΟΤΟΥ ΝΘΙ ΘΕΛΠΙΟ ΜΠΕΥΖΩΒ. ΕΩΩΠΕ ΟΝ
ΑΦΚΑ ΖΕΝΧΡΗΜΑ ΕΒΟΛ ΑΦΒΩΚ, ΝΤΕ ΝΕΦΩΗΡΕ ΔΟΟΡΟΥ
ΕΒΟΛ· ΜΗΝΝΩΟΩ ΩΡΑΡΕ ΠΑΙ ΩΩΠΕ ΗΜΟΘΝΕΘ ΕΠΖΑΕ.
ΕΩΩΠΕ ΟΝ ΜΠΕΦΚΩ, ΩΑΥΣΑΩΦ ΜΠΖΑΗ ΝΣΕΒΑΒΩΩΦ ΖΗ
ΠΕΦΜΟΥ. ΠΡΗΚΕ ΔΕ ΝΤΟΥ ΦΟΥΟΧ ΕΝΑΙ ΤΗΡΟΥ. ΟΥΚΕΥΟΟ
ΔΕ ΝΟΥΩΤ ΠΕΤΩΟΟΠ ΝΑΦ ΕΤΡΕΥΘΝΤΦ ΔΕ ΟΥΖΗΚΕ
ΝΣΑΒΕ ΠΕ. ΤΜΝΤΡΜΜΑΟ ΔΕ ΜΠΕΙΔΙΩΝ ΜΠΕΡΚΑ ΖΤΗΤΗ
ΕΡΟΟ ΔΕ ΣΜΕΖ ΝΑΚΑΘΑΡΟΙΑ ΗΜ (f. 136v–137r).

حقًا، إن موت الفقير مُشرف، ومملوء بالسلام أكثر من (موت) الغني. إن (مات) غني فإن كثيرين يضطربون. بعض الذين عاملهم بقسوة سيفرحون. بعض الذين صادقوه سيحزنون، لأن أملهم في العمل معه قد ضاع. إن كان قد ترك مألًا ورحل، فإن أولاده سيبدونه، ومن ثم سيصبح موضع سخريه بالنهاية. وإن لم يترك شيئًا، فإنهم سوف يحتقرونه، ويسخرون من موته. أما الفقير، فقد نجا من كل ذلك. إنه يملك شيئًا واحدًا فقط، أن يكون فقيرًا حكيماً. لا تتق بثروة هذا الدهر، لأنها مملوءة من كل نجاسة.

تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه العظة - وبخاصة هذا الجزء المتعلق بالغنى والفقر - شديد التشابه مع عظة أخرى مخصصة لموضوع الغنى ومنسوبة للبابا بطرس خاتم الشهداء. هذه العظة محفوظة في نسختين: صعيدية

وبحيرية³⁴. النسخة الصعيدية محفوظة في مخطوط مورجان رقم ٦٠٢، من نفس مجموعة مخطوطات الحامولي³⁵. من الواضح أن بعض عبارات العظمتين قد تشابهتا في كامل نصهما، فعلى سبيل المثال يخاطب كاتب عظة "عن الغنى" - في نسختها الصعيدية- الرَّجُلَ الغني قائلاً: $\alpha\kappa\omicron\upsilon\omega\mu \ \epsilon\pi\ \omicron\upsilon\beta\alpha\lambda$ $\mu\pi\omicron\eta\eta\omicron\varsigma$ ، أي: "لقد أكلت بعين غيوره." وقد كُتبت العبارة ذاتها في نسخة العظة البحرية: $\alpha\kappa\omicron\upsilon\omega\mu \ \delta\epsilon\pi\ \omicron\upsilon\beta\alpha\lambda \ \beta\omega\delta\eta$ ³⁶. أما في عظتنا هذه عن العنصرة فقد وردت: $\kappa\omicron\upsilon\omega\mu \ \epsilon\pi\ \omicron\upsilon\beta\alpha\lambda \ \mu\pi\omicron\eta\eta\omicron\varsigma$.

ليس هذا فحسب، بل إن قراءة فاحصة لعظة الغنى المنسوبة للبابا بطرس الإسكندري تقدم لنا حقائق أخرى، منها أن كاتبها يعالج تقريباً نفس موضوعات عظة العنصرة، وينتقل من توجيه الخطاب لفئة معينة من السامعين إلى فئة أخرى بحريّة، مثل توجيه الخطاب إلى الأغنياء ثم إلى الفقراء والعكس، ثم توجيه خطاب قصير إلى الأساقفة. والأكثر جذباً للانتباه أن كاتب عظة الغنى قد وجّه عبارات قصيرة ضد الهرطقة، خارجة عن الترتيب المنطقي لحديثه، تماماً كما أشار الباحث أعلاه عن كاتب عظة العنصرة.

الراجح أن كلا العظمتين قد نسختا في مركز نَسْخ واحد في زمن متقارب، وربما كان للثنتين أصل مفقود جاءتا منه، سواء كان هذا الأصل يونانياً أو قبطياً. كذلك تجدر الملاحظة أن أحدهما منسوبة للبابا بطرس، والأخرى للبابا أثناسيوس، فقط لإعطائهما الجاذبية المطلوبة. وسوف يلقي الباحث الضوء على ذلك فيما يلي.

³⁴ B. Pearson et al., *Two Coptic Homilies attributed to Saint Peter of Alexandria: On Riches, on the Epiphany*. Rome 1993, 41–93, 95–144.

³⁵ Depuydt, *Catalogue*, 224–225.

³⁶ Pearson et al., *Two Coptic Homilies*, 49, 72.

٤- الحضور إلى الكنيسة

تُحْتَمَمُ العظة بخاتمة ليست بالقصيرة تحتل الصفحات ١٣٧ و إلى ١٤٠.ظ. تُشَدَّد الخاتمة على فكرتين: الأولى هي عدم التواني أو التراخي في الحضور إلى الكنيسة، وكذلك الحضور المبكر، حتى يتسنى للإنسان أن يستمع إلى الصلوات الروحانية الحلوة. بعدها يستكمل خاتمته بالفكرة الثانية، وهي أن الحضور باكراً إلى الكنيسة لا يعني استحقاق الاشتراك في الأسرار المقدسة، بل يجب على الإنسان أن يستعد للتناول بالصوم وتنقية القلب بالإضافة إلى حضور صلوات القداس ذاتها منذ البداية. في ثانياً هذا الجزء من العظة يعرج الكاتب على ذكر القراءات الطقسية المستخدمة أثناء صلوات القداس، ويذكر بالتحديد وعلى الترتيب: البولس، ثم المزمور والإنجيل. كما يذكر أن هناك طريقة خاصة للجلوس في الكنيسة، منها مثلاً أن الأغنياء يجلسون في مكان أقرب للشمامسة المنشدین، لأنهم بحاجة إلى الاستماع أكثر من الفقراء بحسب الكاتب^{٣٧}.

يُنهي الواعظ عظته قائلاً إن من يفعل كل التعاليم التي سبق ذكرها في ثانياً العظة فإن (لوحة ٤):

ΝΑΡΩΠΚ ΕΡΟΨ ΖΝ ΟΥΟΥΝΟΨ ΑΥΩ ΝΨΧΑΡΙΖΕ ΝΑΚ
 ΜΟΕΨΠΝ(ΝΕΥΜ)Δ ΕΤΟΥΑΑΒ. ΠΕΝΤΑΘΕΙ ΕΧΝ ΝΕΙΟΤΕ
 ΝΑΠΟΣΤΟΛΟΣ ΚΑΤΑ ΠΩΔΧΕ ΜΠΕΝΣΩΤΗΡ ΕΨΧΩ ΜΜΟΣ
 ΧΕ ΕΙΩΔΑΝΒΩΚ †ΝΑΧΟΟΥ ΝΗΤΝ ΜΠΠΑΡΑΚΛΗΤΟΣ
 ΠΕΠΝ(ΕΥΜ)Δ ΝΤΜΕ. ΠΑΙ ΕΤΝΑΤΣΑΒΩΤΝ ΕΖΩΒ ΝΙΜ, ΑΥΩ
 ΝΨΤΣΑΒΕΤΗΥΤΝ ΕΨΔΧΕ ΝΙΜ ΕΨΨΝΑΧΟΟΥ ΝΗΤΝ. ΠΕΟΟΥ
 ΠΑΠΝΟΥΤΕ ΠΕΙΩΤ ΠΕ ΜΝ ΠΕΨΩΗΡΕ ΜΜΕΡΙΤ ΜΝ
 ΠΕΠΝ(ΕΥΜ)Δ ΕΤΟΥΑΑΒ. ΝΑΙ ΕΤΨΩΟΠ ΖΝ ΤΕΚΚΛΗΝΙΑ. ΤΑΙ
 ΕΤΝΑΩΩ ΕΤΗΗΝ ΕΒΟΛ ΧΙΝ ΤΕΝΟΥ ΨΑ ΕΝΕΖ. ΖΑΜΗΝ.

^{٣٧} تفاصيل متعددة في هذا الأمر، لا يتسع المجال لنكرها في هذا المقال الذي يحسبه الباحث مجرد مقدمة للنص نفسه.

(المسيح) يقبله بفرح، ويعطيه الروح القدس الذي حلَّ على الآباء الرسل كما قال مخلصنا: "متى ذهبت سأرسل لكم الباراقليط، روح الحق، الذي سيعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قيل لكم"^{٣٨}. المجد لله الأب، وابنه المحبوب، والروح القدس، الكائن في الكنيسة، والذي سيبقى فيها إلى الأبد. آمين.

يلاحظ أن ذُكر عيد العنصرة في العظة هامشي للغاية، فقد ورد في العنوان، وفي الأسطر الافتتاحية، وكذلك في الأسطر الختامية فحسب، ولم يرد في المتن نهائياً، لذلك فمن الراجح أن العظة لم تكن مخصصة لعيد العنصرة من الأساس، بل جرى إعادة صياغة عنوانها وأسطرها الأولى والأخيرة لتصير العظة متناسبة مع العيد، ومن ثم تُضمَّ إلى المجلد المخصص للاحتفال بفترة القيامة.

لغة العظة

العظة مدونة بلهجة صعيدية تظهر فيها بعض الملامح الفيومية الضئيلة من حين لآخر، ذلك أنها نُسخت في الفيوم، في وقت كانت الصعيدية لها اليد العليا في لغة الكنيسة وليتورجياتها، في حين أن الفيومية لم تكن قد ماتت بعد كلياً، وهناك شواهد متعددة على استخدام لهجة صعيدية متأثرة بالفيومية في الفيوم إبان القرنين التاسع والعاشر^{٣٩}.

يستخدم الكاتب † بدلاً من τει عند الإشارة (١٢٢و، ١٢٩و، ١٣٢و، ١٣٣ظ)، وهي إحدى ميزات اللهجة القبطية المعروفة باسم F5 والتي تُعد

^{٣٨} راجع يوحنا ١٤: ٢٦.

^{٣٩} راجع:

J. van der Vliet, "Reconstructing the Landscape: Epigraphic Sources for the Christian Fayoum," in: G. Gabra (ed.), *Christianity and Monasticism in the Fayoum Oasis*. Cairo 2005, 79–89.

إحدى اللهجات التابعة الرئيسية للفيومية الكلاسيكية⁴⁰. ظهرت اللهجة F5 متأخرة نسبياً مقارنة بمجموعة اللهجات الفيومية، وبعض الباحثين يظنوها الفيومية الكلاسيكية الوحيدة⁴¹.

يستبدل الكاتب حرفي ʾ و ʿ بحرية في نُسْخه (١٢١و، ١٢١ظ، ١٣٣ظ)، وفي بعض الأحيان يقوم بتضعيف حرف ʾ أو حرفي M/N (١١٩ظ، ١٢٧و). يظهر الضمير الشخصي المخاطب المفرد المذكر أحياناً ʾK بدلاً من K (١٢٢ظ).

عندما يريد الكاتب التعبير عن الملكية πEN/τEN/NEEN فإنه غالباً ما يغفل حرف N الأخير (١٢٧ظ). وأغلبها من تأثيرات الفيومية على صعيديته. ينبغي الإشارة أيضاً إلى أن الكاتب في بعض الأحيان يستخدم كلمات يونانية مقابلها القبطي أسهل وأقصر، فقد استخدم على سبيل المثال οΥΔΙΔΑΚΚΑΛΟΥΥC (معلم) بدلاً من οΥCαε (١٢٣و).

لا يستخدم الكاتب أي نوع من الأساليب الإنشائية المعروفة مطلقاً، فهو لا يجيد اللعب بالكلمات، أو ربما لا يهتم به، حيث أتت عظته مباشرة وبسيطة دون محاولة حتى لكسب آذان الجمهور أو لفت الانتباه بالسجع أو الجناس أو غيرهما، وربما كان مرجع ذلك أن العظة مترجمة، وأن القبطية ليست لغتها الأصلية⁴². اللافت للانتباه في هذه العظة أنها تكاد تخلو بالكلية من الأسلوب القصصي المعتاد والمكرّر في هذا النوع من العظات.

⁴⁰ W.-P. Funk, *A Work Concordance to Late Standard Fayyumic Texts (Excerpts and Fragments)*. Québec 1993, 299.

⁴¹ W. C. Till, *Koptische Chrestomathie für den fayumischen Dialekt, mit grammatischer Skizze und Anmerkungen*. Vienna 1930, 7-9.

⁴² في رسالة الدكتوراة غير المنشورة لعالم القبطيات ديتلف ميللر، والتي تُعد من أندر الأعمال البحثية في فنون الوعظ القبطي، وصل الرجل لعدة نتائج مهمة، منها أن العنصر الرئيسي لأي عظة قبطية هو القصة، وأن الواعظ القبطي يتلقى تدريباً بسيطاً

تبدو ترجمة بعض فقرات العظة إلى لغة حديثة أمرًا صعبًا للغاية، وقد شاب بعض فقراتها الغموض، والارتباك في استخدام الضمائر الشخصية. كما لا يفوتنا الإشارة إلى طول العظة المبالغ فيه، فهي تحتاج إلى حوالي الساعة لئُلْتَمَى على لسان مَنْ يجيد القبطية إجادة تامة، وإن كان بعض الباحثين يرون أن ذلك كان أمرًا معتادًا في ذلك الزمان^{٤٣}، إلا أن مقارنة بسيطة بين طول هذه العظة وعدد من مثيلاتها من نفس العظات المنحولة التي نُسخت في دير الملاك ذاته تعطي لنا نتيجة مفادها أنها الأطول بلا شك.

تجدر الإشارة إلى أن الكاتب قد تعمّد الإطالة في عظته في غير جزء منها، حيث استخدم عددًا من الألفاظ ذات المعاني المترادفة للتعبير عن الفكرة نفسها. فمثلًا على الصفحات ١٢٣ظ-١٢٤و، حينما كان المؤلف يصب اللعنات على الأشرار من الأغنياء، قال: ”الويل لكم أيها الأغنياء، لأنكم قد حصلتم على تنعمكم بالفعل. الويل لكم أيها المباركين اليوم، لأنكم سئلُعنون فيما بعد. الويل لكم أيها الآكلين حسنًا اليوم، لأنكم ستجوعون فيما بعد. لقد قال أشعياء: ويل للأبطال في شرب الخمر، ولذوي القدرة على مزج المسكر^{٤٤}.“ وقد كرّر نفس طريقته في عدة مواضع أخرى من العظة (راجع مثلًا الصفحات ١٣٩ظ-١٤٠و). لاحظ أن الكاتب يستخدم أسلوب الكتاب المقدس

يشمل كيفية إعداد مقدمة عظته، وخاتمتها، وكيفية سوق بعض الأدلة على ما يقول؛ أما الأساليب الإنشائية التي تُستخدم لتحسين الكلام ولفت الانتباه فهي خارجة عن اهتمام الواعظ القبطي، وما يظهر منها في الأدب القبطي هو من تأثير اليونانية بحسب ميللر. راجع:

C. D. G. Müller, *Die alte koptische Predigt. Versuch eines Überblicks*, Ph.D. Dissertation. Heidelberg 1954, passim.

⁴³ M. Sheridan, “Rhetorical Structure in Coptic Sermons,” in: J. E. Goehring and J. A. Timbie (eds.), *The World of Early Egyptian Christianity: Language, Literature, and Social Context, Essays in Honor of David W. Johnson*. Washington 2007, 25–29.

⁴⁴ راجع إشعياء ٥: ٢٢.

في الآيات السابقة، ويصيغ على نهجها كلمته التي تحمل رسالته الروحية عبر العظة.

انتحال النصّ

في الثمانينات من القرن المنصرم كتب عالم القبطيات الشهير تيتو أورلاندي (Tito Orlandi) مقالاً بالموسوعة القبطية أسّس فيه لنظريته عن "الدورة الأدبية" (Cycle)⁴⁵، ثم أتبع أورلاندي ذلك بالنشر عن الموضوع نفسه في أكثر من مكان على مدى ما يقرب من ثلاثة عقود⁴⁶، تلقّي العالم الأكاديمي المصطلح الذي صكّه أورلاندي بصدر رحب، وأتبع المصطلح دون تحذّر يُذكر⁴⁷. "الدورة الأدبية" هي نوع من الإنتاج الأدبي يتعامل مع أحداث من حياة قديس أو شهيد شهير، وفيه تُستخدم مجموعة من نصوص قديمة في صياغة أخرى جديدة، أي إعادة تدوير النصوص القديمة لتصبح نصوصاً أخرى جديدة حاملة شيئاً من روح القديمة وأشياء أكثر من أغراض الكُتّاب

⁴⁵ T. Orlandi, "Cycles," in: A. S. Atiya (ed.), *The Coptic Encyclopedia*, 8 vols. New York 1991, 3:666–668.

⁴⁶ راجع على سبيل المثال:

T. Orlandi, "Testi patristici in lingua copta," in: A. di Berardino (ed.), *Patrologia*, vol. 5. Turin 2000, 487–566.

⁴⁷ أنفق أورلاندي عمراً ليعض ما يمكن تسميته "تاريخ الأدب القبطي"، وقد نشر نتائجه في منشورات عدة يمكن الحصول على أغلبها من هذا الموقع: <http://www.cmcl.it/~orlandi/pubegi.html>

وقد كتب ضد بعض نتائجه، الأب إنزو لوكيزي، راجع مثلاً:

E. Lucchesi, "Le dialogue Quod unus sit Christus de Cyrille d'Alexandrie en copte." *Orientalia* 73 (2004), 289–291, 298–301.

وقد مدح نتائجه ستيفن إمل في:

S. Emmel, "Coptic Literature in the Byzantine and Early Islamic World," in: R. Bagnall (ed.), *Egypt in the Byzantine World, 300–700*. Cambridge 2007, 85.

ولكن كلاهما لم يقدّم الاهتمام الكافي بموضوع "الدورة الأدبية"، وإن كان إمل في مقاله السابق قد قال إن ما توصل إليه أورلاندي يمكن اعتباره نظرية قابلة للاختبار من خلال دراسات مفصلة عن نصوص بعينها، وهو الاقتراح الذي أخذ به الباحث في دراسته للعضات الأربع المنحولة على اسم أثناسيوس الرسولي، حتى استطاع تقديم مقترحات جديدة لإعادة تعريف مصطلح "الدورة الأدبية" وتدقيقه، راجع:

Saweros, *Another Athanasius* (Forthcoming).

الجُدُد. كان ذلك حيلة لجأ إليها الكُتَّابُ الأقباطُ في زمن قريب من دخول العرب مصر بسبب انقطاع الصلة بالنبع الأصلي للنصوص الآبائية، بسبب موات اللغة اليونانية، وتقطُّع السُّبُل للوصول إلى مكاتب تحوي مخطوطات لهذه الكتابات^{٤٨}.

كما لا يفوتنا التأكيد على أن الجمهور النهائي لهذه العظات ليس في حاجة إلى نصوص مرتفعة المستوى في اللاهوت والجدل العقيدي، بل هذه النصوص كُتبت بالأساس لسد الحاجة إلى إلقاء كلمة روحية في مناسبة ما، ولتوصيل رسائل أخلاقية بسيطة ومباشرة ضد ارتكاب الخطية، وكذلك لتمجيد القديسين الذين تُنسب لهم هذه النصوص من ناحية، وإعطاء النصوص نفسها سلطة وموثوقية من الناحية الأخرى. فيما يتعلق بالنصوص القبطية المنسوبة لأثناسيوس، والتي نتجت عن إعادة التدوير هذا، فهي دائماً تظهر بمستوى أدبي ولغوي وفكري منخفض عن الكتابات الأصلية لأثناسيوس، والتي يفترض أورلاندي أنها صيغت منها. وقد نسبت النصوص المعاد إنتاجها إلى الكاتب الأصلي الذي أخذت عنه، ومن ثم عُرفت نصوص أثناسيوس باسم "الدورة الأدبية الأثناسيوسية".

الحقيقة إن الأمر هنا يحتاج إلى شيء من الإيضاح، فقد استخدم كُتَّاب هذه النصوص بعضاً من معلوماتهم الشخصية عن أثناسيوس، ربما معلومات انتقلت إليهم بالسمع، وربما يكونون قد استخدموا بعض مخطوطات تحوي كتابات أصلية أو حتى منحوالة سابقاً على اسم أثناسيوس، لكن المنتج الأخير لهم لم يكن يحوي شيئاً من أثناسيوس إطلاقاً، فالغرض من كتابة هذه

^{٤٨} على سبيل المثال، وبحسب المتاح من معلومات، لم يُعثر بمصر إلا على شذرة واحدة تحوي جزءاً بسيطاً من كتاب "تجسد الكلمة" للبابا أثناسيوس الرسولي باليونانية، راجع:

H. van Haelst, *Catalogue des papyrus littéraires juifs et chrétiens*. Paris 1976, Nr. 625.

العظات هو توصيل رسالة روحية مُعَيَّنَة، وبالتالي وَضَعها على فم أثناسيوس كمؤلف لإعطاء مصداقية لها، ولجذب آذان المستمع إليها.

في العظة محل الدراسة، لا يبدو أن الكاتب الأصلي على معرفة بأثناسيوس الرسولي إطلاقاً^{٤٩}. لقد بدا أثناسيوس كواعظ، متوسط التعليم، يوجه تعاليم على طريقة "افعل ولا تفعل" لسامعيه، ويختفي بالكلية أسلوب أثناسيوس المعروف في الإقناع وطرح الأسئلة المباشرة، وتقديم الأدلة المرتبة منطقيًا من الأضعف إلى الأقوى على ما يطرحه من وجهات نظر. تختفي من هذه العظة طريقة أثناسيوس المجادل بثقة، العارف بتفاصيل الكتاب المقدس، بالكلية^{٥٠}. وما يؤكد انتقال النص أنه لا دليل على وجود أصل له في اليونانية، اللغة التي كتب بها أثناسيوس كل أعماله؛ كما أن النص لا تنعكس فيه أية تفاصيل من البيئة التي عاش فيها أثناسيوس في إسكندرية القرن الرابع، فلا يظهر فيها الصراع مع الآريوسية، ولا متاعب أثناسيوس من آريوس وتابعيه، ونفيه المتعدد؛ كما لا يُعرف أبدًا من أي دليل خارجي أن لأثناسيوس عظة عن عيد العنصرة^{٥١}.

يبدو واضحًا للعيان أن أثناسيوس بالتأكيد ليس هو كاتب العظة، لكن هل يمكن أن نعرف الكاتب الأصلي؟ الحقيقة إن كاتبها له معرفة بالكتاب

^{٤٩} راجع هامش رقم ١ بعاليه، وللمزيد يمكن الرجوع إلى:

A. Martin, *Athanase d'Alexandrie et l'église d'Égypte au IV^e siècle (328-373)*. Rome 1996.

^{٥٠} عن أسلوب أثناسيوس الرسولي في كتاباته الأصلية راجع:

G. Ch. Stead, "Rhetorical Method in Athanasius." *Vigiliae Christianae* 30 (1976), 121-137.

^{٥١} في عام ١٩٩٤ حاول العالم ديفيد براكي أن يضع قواعد لتمييز النص المنحول من النص الأصلي، وقد طبق ذلك على بعض الأعمال المنسوبة لأثناسيوس الكبير، وخاصة تلك المتعلقة بالرهبة. من تلك القواعد: الشواهد القديمة على وجود النص ونسبته لصاحبه، الأدلة على وجود أصل يوناني ما لم يكن النص محفوظًا في اليونانية، وطبيعة النص، والعنوان القديم للنص، ومقارنة محتويات النص بنصوص أخرى لنفس المؤلف تم التأكد من صحة نسبتها إليه، والأدلة الداخلية في النص، ومدى انعكاس بيئة الكاتب وطبيعة زمنه فيها. وقد استفاد الباحث كثيرًا من تطبيق تلك القواعد على العظة محل الدراسة، راجع:

D. Brakke, "The Authenticity of the Ascetic Athanasiana." *Orientalia* 63 (1994), 17-56.

المقدس إلى حد ما، يقتبس آياته في مكانها الذي يحتاج إليه فيها، ويوظفها فيما يخدم غرضه بذلك، حتى وإن كان سياق الآيات المقتبسة - في موضعها بالكتاب المقدس - له معنى مخالف. كما أنه ليس من المرجح أن كاتبنا كان يستخدم نسخة مخطوطة كاملة من الكتاب المقدس بعهديه، بل غالبًا كان يقتبس مما يحفظه. يجدر بالذكر أن المؤلف حينما علّق على قصة الغني ولعازز، جاء بذكر اسم الغني، وهو الاسم الذي يميز نسخة العهد الجديد الصعيدية دونًا عن غيرها⁵². لدى الواعظ انطباع سلبي للغاية عن اليهود واليهودية، يزيد هذا الانطباع سوءًا عند ذكره للمرأة اليهودية. كما أنه ينسب كل الفضل في نجاح الأسرة للرجل، بما في ذلك تربية الأبناء، ويجعل من دور المرأة في الحياة دورًا هامشيًا جدًّا، لا يكاد يُذكر. الأمر كله يجعلنا نرجّح أن الكاتب هو أحد الإكليروس، ربما راهب أو كاهن عاش في الإسكندرية في زمان حدوث اضطرابات سببها يهود المدينة، وربما كان ذلك حوالي القرن الخامس⁵³.

جدير بالذكر أن تيتو أورلاندي قد قدّم عدة تفسيرات لنشأة "الدورة الأدبية" وتطورها وانتشارها. يقول أورلاندي إنه مع مجيء العرب ومغادرة الأجانب - أو أغلبهم - مصر، أُغلقت مجال الترفيه المدنية، كالمسرح والملاعب وغيرها، وصار على الكنيسة أن تقدّم للمؤمنين ما يسميه "ترفيه روحي". هذا الترفيه - عند أورلاندي - تمثّل في هذا النوع من الأدب، الممتع حقًّا، والزاهر بقصص المعجزات الجذابة. كما أن الكنيسة عانت ما عانت من بعد مجمع خلقيدونية، وكان بعض الكُتّاب يظنون أن تجنّب الكتابة اللاهوتية عالية المستوى هو حل مثالي لتهدئة الأمور، وإعادة العلاقات الطيبة مع عوام

⁵² G. W. Horner, *The Coptic Version of the New Testament in the Southern Dialect: Otherwise Called Sahidic and Thebaic*. Vol. 2: *The Gospel of Luke*. Oxford 1911, 314-315.

⁵³ راجع على سبيل المثال زمان تولى البابا نيوفيلس للكرسي المرقسي:

S. J. Davis, *The Early Coptic Papacy: The Egyptian Church and its Leadership in Late Antiquity*. Cairo 2004, 63-70.

المؤمنين. لذلك فأورلاندي يظن أن هؤلاء الكتّبة قد قصدوا في صياغاتهم لهذا النوع من الأدب أن يكون بسيطًا وجدّابًا، وخاليًا من الجدالات اللاهوتية العميقة والمزعجة - بحسب أورلاندي - لعوام الناس. بمرور الوقت، صار لهذا النوع من النصوص جمهور واسع، على حساب أية نصوص أخرى، باستثناء مخطوطات الكتاب المقدس. وصار الجانب الأكبر مما وصلنا من الأدب القبطي ينتمي لهذا النوع من "الدورة الأدبية".

مدى انتشار النصّ

يبدو أن هذا النص لم يُحفظ لنا إلا في هذه النسخة الوحيدة، فلم تُكتشف إلى اليوم نسخة كاملة أو منقوصة منه في أي مكان بمصر. جدير بالذكر أن تيتو أورلاندي على موقعه *Corpus dei Manoscritti Copti Letterari* المخصص للمخطوطات الأدبية القبطية قد تعرف على شذرة صعيدية محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس وتحمل رقم 161¹⁶ على أنها تمثل جزءًا من نسخة أخرى من هذه العظة⁵⁴. ولكن بفحص الباحث للشذرة، تبين أن وجه الورقة يحمل نصًا من إنجيل لوقا ١٦: ١٠-١١، وظَّهر الشذرة يحمل نصّ لوقا ١٦: ٢٥-٢٦، وهي بالضرورة جزء من نسخة كاملة لإنجيل لوقا باللهجة الصعيدية. ويبدو أن الخلط لدى أورلاندي قد حدث لأن كاتب العظة قد اقتبس النص المدوّن على ظهر الشذرة في ثنايا كلامه عن الغنى والفقر.

حاول الباحث أن يدرس مدى انتشار العظة من خلال تتبّع ما إذا كانت العظة قد تُرجمت إلى العربية من عدمه. ذكر الأب جورج جراف (Georg Graf) أن لأنطاسيوس عظمتين محفوظتين بالعربية عن عيد العنصرة، ولكل منهما عدة نُسخ موزعة على عدة مكتبات حول العالم⁵⁵. كما أشار جراف إلى

⁵⁴ <http://www.cmcl.it/cgi-bin/stolet01.cgi?0052>

⁵⁵ G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, 5 vols.. Vatican City 1944-

عظة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، لم يستطع أن يحدّد ما إذا كانت نسخة من إحدى العظمتين السابق ذكرهما أم عظة ثالثة. هنا سيقدم الباحث نتيجة فحصه لهذه المجموعة كلها من المخطوطات^{٥٦}.

مخطوط باريس عربي رقم ١٤٣ عبارة عن مخطوط ضخمة يتكون من ٣٥٣ صفحة، يحوي اثنين من الكولوفونات: الكولوفون الأول بصفحة ١٥١ و من المخطوط، ويذكر أن تاريخ نسّخه هو عام ٦٨١٨ لآدم (يوافق ١٣١٠م). والكولوفون الثاني بصفحة ٣٥٣ ويحدد تاريخ ترميم المخطوط بعام ٧١٥٩ لآدم (يوافق ١٦٥١م). يضم المخطوط عددًا من العظات معظمها منسوب ليوحنا فم الذهب. العظة المنسوبة لأثناسيوس الرسولي عن عيد العنصرة تحتل الصفحات ١١٦ ظ-١٢٢و. وفي متن العظة - بعد العنوان - يطلب أثناسيوس من الرب أن تحل عليه ذات القوة التي حلّت على التلاميذ في عيد العنصرة ليستطيع أن يعظ بشكل جيد (١١٧و)، ثم يتحدث أثناسيوس، وباستخدام عدد كبير من الاقتباسات والإشارات الكتابية، عن خطة الله لخلاص البشر، منذ التجسّد حتى العنصرة (١١٧و)^{٥٧}.

ينتقل الواعظ إلى شرح يوم العنصرة بالتفصيل وما حدث فيه، ثم يهاجم اليهود الذين شهدوا وقائع اليوم ولم يفهموها (١١٨ و - ١١٩ ظ). تتضح معرفة الكاتب العميقة بالكتاب المقدس من خلال مقارنتين رائعتين يعقدهما بين حلول السنة مختلفة على التلاميذ، وواقعة بلبلّة الألسنة عند إنشاء برج بابل،

1953, 1:314.

^{٥٦} يقوم الباحث حاليًا بإعداد نشرته الخاصة من تلك المخطوطات في إطار دراسة عن التراث الأثناسيوسي المحفوظ في العربية. جدير بالذكر أن الأب سمير خليل سمير له مشاركة طيبة فيما يتعلق بالتراث الأثناسيوسي المحفوظ بالعربية، لكن انصرف اهتمام الأب سمير فقط إلى ما يعتقد أنها ترجمات لنصوص أثناسيوس الأصلية، نذكر منها: سمير خليل سمير، "مؤلفات أثناسيوس الرسولي." مجلة صديق الكاهن ٣/١٣ (١٩٧٣)، ١٠١-١١٥؛ "جولة في المكتبات الشرقية والغربية بحثًا عن المخطوطات العربية لمؤلفات أثناسيوس الأصلية." مجلة صديق الكاهن ٣/١٣ (١٩٧٣)، ٢٠٢-٢٢١؛ "عناصر أساسية في سبيل بليوغرافية أثناسية." مجلة صديق الكاهن ٣/١٣ (١٩٧٣)، ٢٢٢-٢٢٥.

^{٥٧} اطلع الباحث على هذه المخطوطات عن طريق نسخة الميكروفيلم المحفوظة في جامعة نيمخن بهولندا.

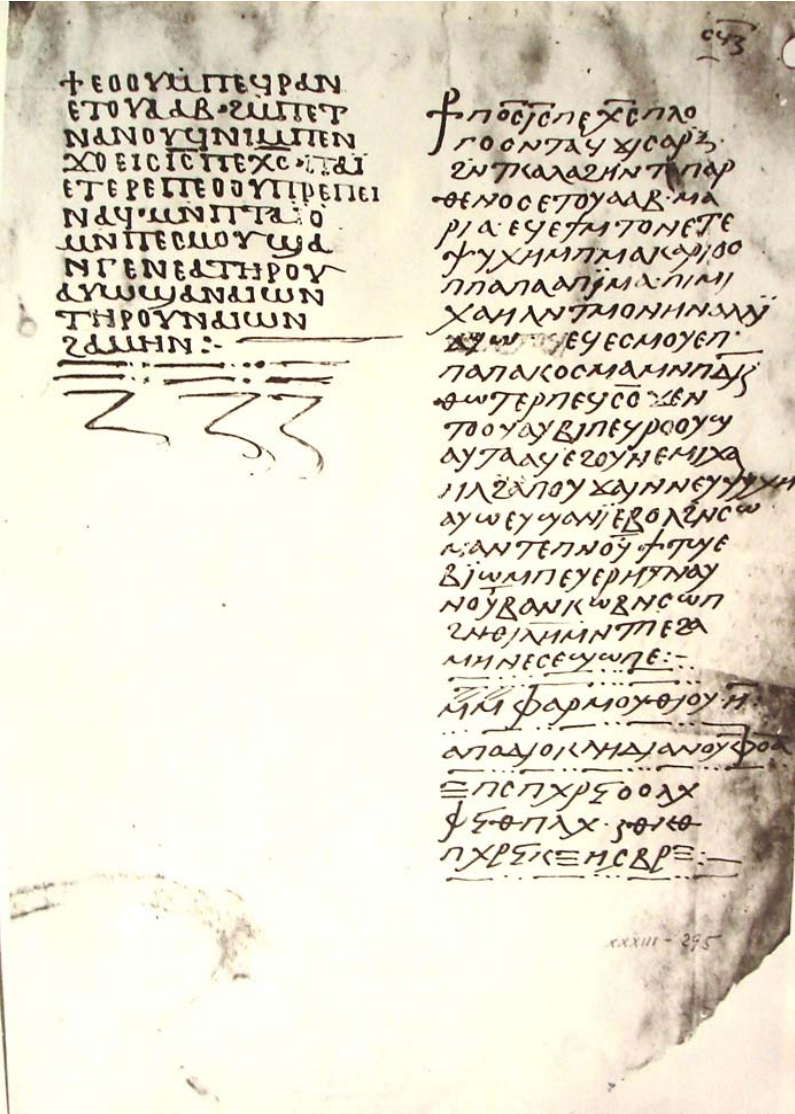
كما يقارن بين الروح القدس الحال على التلاميذ كنار، وبين تلك النار التي اشتعلت بعليقة موسى (١٢٠ظ - ١٢١و).

العظة الأخرى التي تحمل نفس العنوان، وتُنسب للبابا أثناسيوس الرسولي، محفوظة في مخطوط رقم "لاهوت ٣٩٥" بالمتحف القبطي، بالصفحات ٢٠٠و - ٢٠٢ظ)، تليها عظة أخرى بنفس العنوان ولنفس المؤلف على الصفحات ٢٠٢ظ - ٢١١و. تم نَسْخ المخطوط في ٧ برمودة ١٤٣٧ش. تبدأ العظة بكلام الواعظ عن الفرق بين وعود الله في العهد القديم ووعوده في العهد الجديد (٢٠٣و - ٢٠٤ظ). ينتقل الواعظ بعدها إلى حديث شائق عن الأفانيم الثلاثة، وعلاقتها ببعض، وطبائعها (٢٠٨و - ٢٠٩ظ). بعدها يتناول الواعظ بالشرح عيد العنصرة، ويجيب عن سؤال: لماذا يشبه الروح القدس النار، ثم يعلّق على مساواة الروح القدس لكل من الآب والابن (٢١١و).

تختلف العظة الأخيرة بالكلية عن سابقتها، فهي تتميز بمستوى فكري ولاهوتي ولغوي مميز للغاية، يؤهلها لتكون نصّاً آباءياً بامتياز. العظة تتناول بدقة موضوعات دفاعية في أغلبها، عن عقيدة الثالوث، ومساواة الأفانيم، ووحديتهم، وهي بالضرورة أفكار زادت الحاجة لها بعد تعريب مصر، لتماسها مع عقائد أساسية في الاسلام، ديانة الحكام الجدد للبلاد. جدير بالملاحظة أن كلتا العظتين لهما نفس عنوان العظة القبطية محل البحث، وينسب لنفس المؤلف لكن المحتويات تختلف بالكلية، لكن هذا لا يعني أن عظتنا لم تجد طريقها إلى العربية، فالراجح أن عظتنا هذه عن عيد العنصرة وغيرها كانت المصدر الأول لهذه العظات العربية، والموحية بها.

الخلاصة أن هذه النوعية من النصوص المنحولة ليست شرّاً كلها، وهي شواهد من الماضي تُلقِي بعض الضوء على ما لم نعرفه بعد من التراث القبطي. هذه النصوص عددها ضخم جدّاً، فالنصوص المنحولة المكتشفة في خرائب

دير الملاك بالحامولي بالفيوم تتجاوز في العدد والفرادة عدد النصوص الأصيلة، إذا ما استثنينا نُسخ أسفار الكتاب المقدس. لذلك، فإن الاهتمام بها واجب الباحثين الجادين في المستقبل. كانت هذه النصوص المنحولة بلا شك تلعب دوراً في تشكيل العقل القبطي في زمانها، ولم تزل لها بقايا في معتقدات القبط وصلواتهم حتى اليوم.



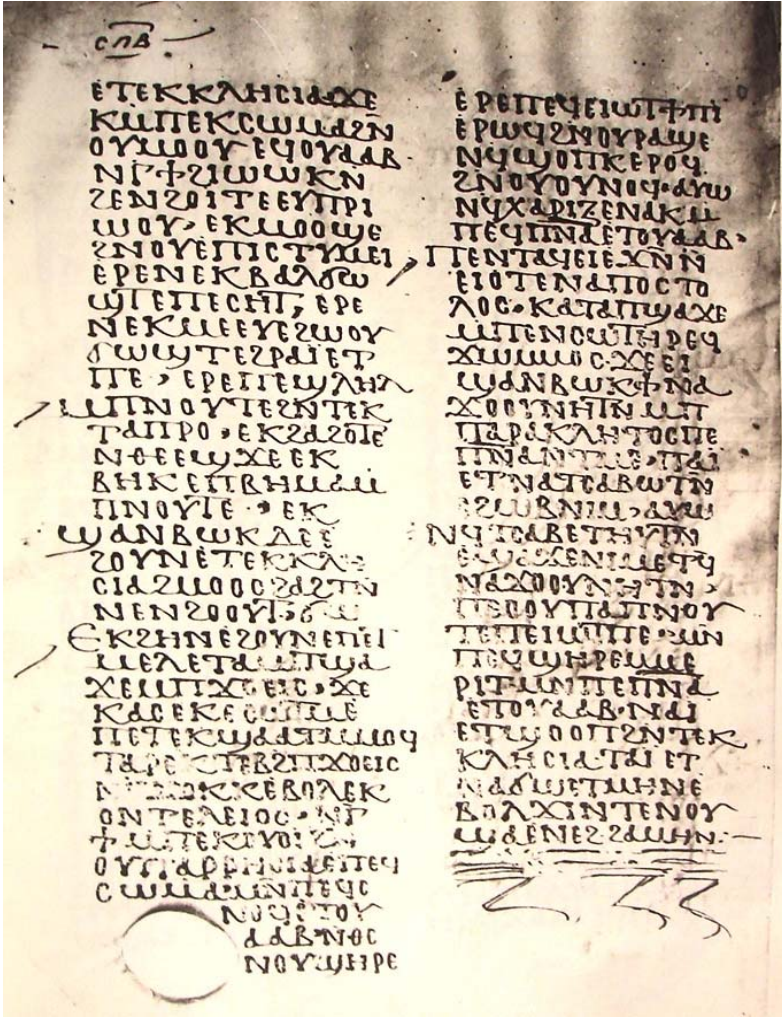
لوحة (١): الصفحة الأولى من الكولوفون. ورقة ١٤٨ او



لوحة (٢). الصفحة الثانية من الكولوفون. ورقة ١٤٨ ظ



لوحة (٣): صفحة العنوان من العظة. ورقة ١١٨



لوحة (٤): صفحة الخاتمة من العظة. ورقة ٤٠١ا